



@Tafsircenter

من بحوث المؤتمر الدولي الأول لتطوير الدراسات القرآنية

جهود المغاربة في الاتتصار للنص القرآني

أ.د. محمد عبد الرحيم بيши

www.tafsir.net

مَنْزِلَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ فِي الْمَجَامِعِ الْعَالَمِيَّةِ
Tafsir Center For Qur'anic Studies



جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

بحث مقدمٌ

للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

١٤٣٤/٤/٦ - ١٤٣٤/٢/١٦

إعداد
د. محمد عبد الحليم بيشى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السيرة الذاتية

الاسم: محمد عبد الحليم بيشي

البريد الإلكتروني: halimbichi@ymail. com

الوظيفة الحالية: أستاذ محاضر أ- دكتور - قسم العقائد والأديان- كلية العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر ١، الجمهورية الجزائرية.

الأعمال العلمية:

- حرية المعتقد في الإسلام دراسة تأصيلية، رسالة ماجستير في العقيدة والفكر الإسلامي - جامعة الجزائر-
- الردة بين حرية المعتقد و المواقف الدولية الحديثة لحقوق الإنسان، رسالة دكتوراه-جامعة الجزائر-.
- الغرب الاستعماري في فكر مالك بن نبي: مجلة الصراط، كلية العلوم الإسلامية، العدد رقم ٠٨ سنة ٢٠٠٤.
- شرعية المشاركة في سلطة غير إسلامية: مجلة الصراط، كلية العلوم الإسلامية، العدد رقم ١٦ سنة ٢٠٠٨.
- التجديد في المقاصد عند الدكتور طه جابر العلواني، مجلة البصيرة للدراسات الإسلامية، العدد ٠٩، سنة ٢٠١٠.
- العذاب الآخروي بين الأبدية والتوقيت عند المسلمين، مجلة الصراط، كلية العلوم الإسلامية، العدد رقم ٢١
- الإيمان والنظر في المعجزة، جدلية الضرورة واليقين، مجلة الصراط، العدد ٢٢، ٢٠١١.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

- التكفير في المسيحية، الجذور والمظاهر، أعمال الملتقى الدولي حول ظاهرة التكفير بالمدينة المنورة . ٢٠١١
- الحرفيات العامة في العهد النبوى، الملتقى الدولى الإسلام والحرية، القيروان، تونس ٢٠١١
- آية السيف قراءة في مسارات الدعوة الإسلامية. أعمال الملتقى الدولي الإسلام في مواجهة العنف. تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠١٢
- تفاسير الحديث النبوى في المغرب الإسلامي " الهند جامعة كيرالا ، قسم اللغة العربية . ٢٠١٢/٠٢/١٧

أهم المؤلفات :

- نظرية الاستعمار والثورة عند مالك بن نبي.
- حرية المعتقد في الإسلام دراسة تأصيلية.
- الإمام ابن زكري التلمساني وأثاره العقدية.
- الردة بين حرية المعتقد والمواثيق الدولية لحقوق الإنسان.
- المشروع الإصلاحي عند الإمام المغيلي، تحقيق كتاب الإبداء والإعادة لعمر بن قدور الجزائري.

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

ملخص البحث

شكل الجناح المغربي للعالم الإسلامي حصنًا منيعًا في الانتصار للنص القرآني وخدمته قراءة وتفسيرًا وتأصيلاً منذ وطئت أقدام الصحابة والتابعين أراضيه، وكان لمدارس التعليم والمساجد الدور الأهم في ترسيخ القراءات القرآنية وخاصة قراءة أبي عمرو البصري وحمزة الكوفي. إلا أن القراءة التي سادت هي قراءة نافع المدني لارتباط المالكية بميراث المدينة المنورة، وعليه فقد أسهم المغاربة والأندلسيون في التأسيس العلمي للقراءات، القراءات عامة وقراءة خاصة وذلك بجهود أمثال أبي عمرو الداني والشاطبي ومكي بن أبي طالب. كما برع المغاربة في خدمة النص القرآني في الرسم، وصارت كتبهم المنهجية مرجعية في دور ومعاهد القرآن الكريم.

ومع أن المغرب تميز بواحدية ثقافية مذهبية طوال تاريخه الأوسط والمتاخر إلا أنه لم يعد وجود نحل ومذاهب مناوئة لأهل السنة، فكان الصراع المرير مع الشيعة الإمامية في قضايا التأويل وحفظ القرآن من التحريف، ثم كان الصراع مع نحليتين بربريتين ابتدعتا قراءات معارضة، هما نحلا برغواطة وغمارة، ولذلك أبدع المغاربة طرقًا عديدة في حفظ القرآن مثل الحزب الراتب والقراءة الجماعية، والابداء في التعليم بحفظ القرآن دون سواه.

كما جاء الإسهام المتأخر للمغاربة في تفسير القرآن الكريم مع ابن العربي وأبن عطية وأبن جزي؛ ليكسر حدة التقليد المذهبى الذى كان ينأى عن الخلاف حتى لا تسرب المذاهب الأخرى إلى حوزة المغرب والأندلس. ثم افتتح الدرس التفسيري من جديد مع النهضة الإسلامية بمفسرين كبار أمثال

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

ابن باديس الجزائري والطاهر بن عاشور التونسي والذين أسهموا بجد في إحلال النص القرآني مكانه السامقة في المعركة ضد العلمانية وبقایا التصوف الحلولي، والتقليد المذهبی الأصم.

والجهد المغاربي والأندلسي في الانتصار للنص القرآني يجدد دلائله في الحصانة الثقافية التي يحياها المغرب الإسلامي والتي نأت به كثيراً عن الفرقة والاختلاف والانسلات للمذاهب المنحرفة.

إن الإمام بجهود المغاربة في خدمة النص القرآني من الصعوبة بمكان، وذلك أن هذا الجهد العريض يتطلب عديد الدراسات والبحوث والمسح للموسوعات والترجم. ولكن هذا هو بعض التوصيف لفهم تطور علوم القرآن والقراءات والرسم والتفسير في هذا الجزء الكبير من العالم الإسلامي.

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

وبعد، عرف المغرب الإسلامي بعدوته المغربية والأندلسية حراكاً علمياً متناحاً من عرف الإسلام ديناً، حيث أشرب روحه وتمثل قيمه واستظل بشريعته الخاتمة المهيمنة، إذ أطبق المغاربة على الإسلام اعتنقاً واتبعاً وانتصاراً، وعلى اللغة العربية واللسان المبين خدمة ونطقاً وتبياناً، حيث انمحت الديانات السابقة، وانزوت اللغات الأخرى حتى قيل إن الإسلام غرب وعرب. بل زاد الأمر نصوعاً عندما ضمرت الطوائف المنحرفة والفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة، فلم يبق إلا مذهب مالك بن أنس عالم دار الهجرة مذهبًا متبعاً.

ولم تكن هذه الوحدة المذهبية التي اتبعت بوحدة روائية في القراءة وهي روایة نافع المدني بضررية لازب. بل هي محصلة جهود عديدة ومنظرات ومصابرات ومرابطات من علماء المالكيّة ضد بقايا الوجود الإباضي ثم الإماماعيلي الشيعي، ولم يطل القرن الرابع الهجري حتى ترسخت أصول هذه الوحدة التي تتخذ من النص الشرعي قرآنًا وسنةً مرجعاً لا محيد عنه في الفتوى والعمل والتخریج.

ولكن هذه الصيرورة لم تسلم من بعض الهنات مثل هيمنة المتن الفقهي المجرد من الدليل على الحياة العلمية، مما كان يستوجب خروج صيحات مصححة لمسار الاستدلال في المدونات المالكية موجبة لإحلال النص القرآني مكانه المهيمنة في المنظومة الفقهية، وهي صيحات

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

دافع عنها ابن العربي الإشبيلي والشاطبي من المتقدمين، وابن باديس والطاهر بن عاشور من المتأخرین.

كما أن حضور الاتجاهات المنحرفة بين الفينة والأخرى كان دافعاً للاحتماء بالنص القرآني ضد تلك التيارات التي أطلت برؤوسها في الاتجاه الباطني الإسماعيلي، أو الصوفي الحلولي، وحتى في القرآنات البربرية المعارضة التي انتحلتها فرق برغوثة وغمارة في المغرب الأقصى.

كما سنشهد العناية البالغة من المغاربة بالنص القرآني في موضوع القراءات وضبط المصحف في أعمال أمثال أبي عمرو الداني والشاطبي وغيرهم، وكذا في الجهود اللغوية والبلاغية الخادمة للنص عند ابن مالك وأبي حيان وابن عاشور.

وسنعتمد في هذه الورقة المنهج الوصفي الاستقرائي لتلك الجهود وأثرها في إحلال النص القرآني مكانه وهيمنته من حيث عناية المغاربة به خدمةً وتفسيراً وانتصاراً، وذلك من خلال الآتي:

- أولاً: توطننة تاريخية.
- ثانياً: القراءات القرآنية في المغرب الإسلامي المسار والقرار
- ثالثاً: التأسيس العلمي لقراءة نافع المدني.
- رابعاً: جهود المغاربة في الانتصار للقرآن وجدل المخالفين.
- خامساً: جهود المغاربة في تفسير القرآن الكريم.

أولاً: توطننة تاريخية

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

يشكل المغرب الإسلامي جناحاً مهماً في عالم المسلمين يشمل المغارب الثلاث الأدنى (ليبيا وتونس)، والأوسط (الجزائر)، والأقصى (بلاد المغرب والسوس) وكذا العدوة الأندلسية وجزر البحر المتوسط (صقلية وميروقة)، كما ظلل أيضاً بثقافته بلاد السودان الغربي وإفريقيا جنوب الصحراء أي حوض النيجر وصحراء شنقيط.

هذه المساحة الواسعة من الأراضي والتي احتضنت أجناساً عديدة وأعرافاً كثيرة انساب إليها الإسلام بسلام وتؤدة، ورسخ بأقدامه في تربتها واشتد سوقه فأغاظ الكفار بما أورق من أغصان وأفنان، وبما أينع من ثمار زاهية وقطوف دانية توسيطها الكلمة الطيبة الخالدة.

دخل الإسلام إلى بلاد المغرب في القرن الأول الهجري^(١) بجهود الصحابة الأوائل أمثال عبد الله بن أبي السرح العامري^(٢) ، في عهد

(١) انظر في فتح إفريقيا ابن خلدون عبد الرحمن : تاريخ ابن خلدون، ط، ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢ ج ٢ ص ٥٤٧ / ابن الأثير عز الدين: الكامل في التاريخ، ط٦، بيروت. دار الكتاب العربي. د. ت. ج٣ ص ٤٥ .

(٢) عبد الله بن سعد العامري القرشي، صحابي أسلم ثم ارتد وتاب وعاد إلى الإسلام سنة ثمان للهجرة. ولـي حكم مصر في عهد عثمان، ففتح برقة وتونس، وقاد معركة ذات الصواري البحرية ضد الرومان. توفي سنة ٥٥٩ هـ. انظر: ابن الأثير عزا لـدين: أسد الغابة في معرفة الصحابة(ت خالد طرطoshi) ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٦. رقم ٢٩٧٧ ج ٣ ص ٧٣ / ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في أسماء الأصحاب، القاهرة، مكتبة مصر-د، ت-ج٢ ص ١٨٤ / ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة. بيروت، دار إحياء التراث العربي د-ت. ج ٤ ص ٧٨/الذهبي شمس الدين: سير أعلام النبلاء (اعتناء محمد بن عيادي بن ==

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

ال الخليفة عثمان رضي الله عنه ثم استكمل فتح المغارب تباعاً على يد عقبة بن نافع الفهري ^(١)، وحسان بن النعمان ^(٢) الذي به: "استقامت إفريقية كلها وقطع الله عز وجل مدة أهل الكفر منها وصارت دار إسلام" ^(٣) ثم تلى ذلك فتح الأندلس على يد طارق بن زياد ^(٤) وموسى بن نصیر ^(٥).

وجاء إسلام أهله من البربر تباعاً فتوطدت الشريعة الإسلامية وحلت اللغة العربية، حيث انمحى كل الملل والنحل السابقة من وثنية ونصرانية

==

عبد الحليم). ط١، القاهرة، مكتبة الصفا، ٢٠٠٣. ج٢ ص٣٣.

(١) عقبة بن نافع الفهري القرشي، ولد في حياة النبي ﷺ، في صحبته خلاف. ولـي فتح إفريقية والمغرب، أسس مدينة القیروان وبها مسجده الجامع. استشهد في واقعة تهودة ضد البربر والروماني سنة ٦٣ هـ. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة رقم ٣٧٢٣ ج٣ ص٣٧٢ / الاستيعاب ج٥٩ ص٣٧٢ / الإصابة في تمييز الصحابة ج٤ ص٥٢٧.

(٢) حسان بن النعمان الغساني استكمل فتح المغرب وهزم كاهنة البربر ملكة جراوة. وبـه توـطـدـ الإـسـلـامـ وـذـلـكـ سـنـةـ ٨٢ـ هـ. انـظـرـ عـبـدـ الرـحـمـانـ الجـيلـالـيـ:ـ تـارـيـخـ الـجـزاـئـرـ الـعـامـ طـ٧ـ،ـ الـجـزاـئـرـ،ـ دـيـوـانـ الـمـطـبـوعـاتـ الـجـامـعـيـةـ،ـ ١٩٩٥ـ.ـ جـ١ـ صـ١٣٧ـ.

(٣) المالكي: رياض النـفـوسـ فـيـ طـبـقـاتـ عـلـمـاءـ الـقـيـروـانـ وـإـفـرـيقـيـةـ.ـ (ـتـ حـسـينـ مـؤـنسـ) ط١، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥١. ج١ ص٣٨.

(٤) طارق بن زياد البربرى، فاتح الأندلس، توفي سنة ١٠٢ هـ. انـظـرـ المـراكـشـيـ عبدـ الواـحدـ:ـ الـمـعـجـبـ فـيـ تـلـخـيـصـ أـخـبـارـ الـمـغـرـبـ (ـتـ صـلاحـ الدـينـ الـهـوارـيـ)ـ طـ١ـ،ـ صـ١٦ـ /ـ الـحـمـيدـيـ:ـ جـذـوـةـ الـمـقـبـسـ فـيـ ذـكـرـ وـلـةـ الـأـنـدـلـسـ.ـ الـقـاهـرـةـ،ـ الـهـيـئـةـ الـمـصـرـيـةـ الـعـامـةـ لـلـكـتـابـ،ـ ٢٠٠٨ـ.ـ رـقـمـ ٥١٩ـ صـ٢٤٨ـ.

(٥) موسى بن نصیر (ـتـ ٩٧ـ هـ)ـ وـالـيـ إـفـرـيقـيـةـ وـفـاتـحـ الـأـنـدـلـسـ.ـ انـظـرـ جـذـوـةـ الـمـقـبـسـ رـقـمـ ٧٩٣ـ صـ٣٣ـ /ـ اـبـنـ الـأـثـيـرـ:ـ الـكـاملـ فـيـ التـارـيـخـ جـ٤ـ صـ١١٢ـ .ـ

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

ويهودية، فلم يبق منها شيء يذكر على عكس المشرق الإسلامي، ولهذا قالوا: إن الإسلام غربٌ وعربٌ.

منذ استقرار الإسلام بالمغرب والأندلس أُنشئت مدن جديدة كالقيروان^(١) على يد عقبة بن نافع، وتأهرت على يد الرستميين^(٢)، وفاس بال المغرب الأقصى على يد إدريس بن عبد الله مؤسس دولة الأدارسة^(٣)، وكذا القلعة وبجاية في الجزائر على يد الحماديين^(٤)، ومدينة مراكش على يد المرابطين الملثمين^(٥).

(١) في تمصير القيروان أنظر: الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان (مع ذيل ابن ناجي)، ط٢، تونس، المكتبة العتيقة، ١٩٩٣. ج١ ص٩٩/أبو العرب القيرواني: طبقات علماء إفريقية وتونس (ت علي الشابي ونعميم حسن اليافي) تونس الدر التونسية للنشر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٥. ص٥٨/موسى لقبال: المغرب الإسلامي م بناء معسکر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج. الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١. ص٣١/هشام جعيط: تأسيس الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٤. ص١٦٠.

(٢) انظر الجيلالي: تاريخ الجزائر العام. ج١ ص١٦٥ /إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية (١٦٠-٢٩٦هـ) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية. ط٢، القرارة، نشر جمعية التراث، ١٩٩٣. ص٨٥.

(٣) انظر تاريخ ابن خلدون ج٤ ص١٨.

(٤) في الدولة الحمادية الجزائرية وأثارها العمرانية انظر: تاريخ ابن خلدون ج٦ ص٢٠٢ /مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د، ت. ج٢ ص٢٣٠ /رشيد بوروبيه: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها. الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، ٢٠٠٧. ص١٥٢.

(٥) في تمصير مراكش انظر المراكشي: المعجب ص٧٦: تاريخ ابن خلدون ج٢ = =

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

وبعثت مدن قديمة لبست حلة الإسلام كقرطبة وشبيلية بالأندلس، وسبتا وطنجة بالمغرب، وبونة وقسنطينة وبسكرة في الجزائر. وطرابلس في ليبيا، فصارت حواضر علمية زينتها المساجد والربط والمدارس، وبعثتها حلق العلم والرواية فوصلت حبلها بمواطن العلم في المشرق.

والذي يهم موضوعنا هو النص الشرعي قرآنًا، فكيف كان الانتقال ثم الاستقرار ثم الانتصار على المذاهب غير السنية التي ملأت أرجاء المغرب، انتصار توج بوحدة مذهبية نادرة فرضها مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس (179هـ)، وانتصار النص الشرعي على غيره من مصادر المعرفة الدخيلة والمنقوصة. وإذا كان أمر مرجعية القرآن الكريم محسوماً فيه لدى كل المذاهب التي دخلت المغرب من الخارج إباضية وصفريّة، فإن الأمر لم يكن سهلاً مع الإمامية الشيعية، والنحل المنحرفة الأخرى، وحتى مع بعض اعوجاجات التقليد المذهبي الصرف، أو مع بعض التأويلات الصوفية الفلسفية السقية.

إن الإطابق على مذهب فقهى واحد هو مذهب الإمام مالك، وعقيدة واحدة هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وقراءة واحدة هي قراءة نافع. هي السمة التي ميزت هذا المسار.

فما هو السر في هذه الوحدية الفقهية والعقدية والقرآنية التي نأت به كثيراً عن احتراز المذاهب وتطاحن الطوائف في المشرق؟ وهل كانت

==

٦٢١٨ ص.

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

هذه الصيغة إلى الوحدية ضربة لازب؟ وهل مثلت الوحدية عامل قوة أم مؤثر ضعف في الإسهام في المنتج العلمي الذي يتملى الخلاف؟

اختلفت تفسيرات الباحثين قدیماً وحديثاً للوحدة الثقافية التي طبعت المغاربة والأندلسية، وبما أن موضوعنا هو النص القرآني قراءة وتفسيراً فلا بد من فهم واستكناه الارتباط بميراث المدينة المنورة وحده فقههاً وقراءة وعقيدة دون غيرها، ولماذا كان الانتصار في هذا الأخير لمذهب مالك دون سواه.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

ثانياً: القراءات القرآنية في المغرب الإسلامي المسار والقرار.

يمكن الرجوع بموضوع حضور القراءات القرآنية والدرس التفسيري وعلوم القرآن في إفريقيا والمغرب الإسلامي إلى ترکم جهود عديدة ابتدأت واستكملت بالآتي:

١ - دخول الصحابة:

كان انتشار الصحابة بلاد المغرب الإسلامي محدوداً بفترة الفتوح الإسلامية التي استمرت مدةً عديدة. حيث وفد على المغرب جملة من الصحابة في فتح إفريقيا الأولى على يد عبد الله بن أبي السرح سنة (٢٧هـ)، وكان من جملة هؤلاء العبادلة الأربعة عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وكذا سلمة بن الأكوع، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وغيرهم^(١).

ولا شك في أن هؤلاء الجلة نشروا وروداً من عبق العلم في تلك الربوع، وإن لم يطل مقامهم فإن أثر تلامذتهم من التابعين سيكون وفيراً.

ولا ريب أن هؤلاء الصحابة تركوا أثراً في الإقراء وإن لم يطل بهم الأمر، ولكن بعض الصحابة طال بهم المقام واستقرروا أمثال سفيان بن

(١) انظر في الصحابة الداخلين : أبو العرب القيراني: طبقات علماء إفريقيا وتونس ص ٧٣-٧٨

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

وهيب (٨٢ هـ)^(١) الذي روي عنه غياث بن أبي غياث أنه: "يمر بنا ونحن غلمة بالقيروان فيسسلم علينا ونحن في الكتاب"^(٢) ، وكذلك الصحابي عبد الرحمن بن الأسود^(٣).

٢ - طبقة التابعين :

وهي من الكثرة بمكان حيث تواجد وتوفي بإفريقية أفاد ذكر مثل معاوية بن خديج السكوني^(٤)، وعقبة بن نافع الفهري باني مسجد القيروان^(٥)، وهما فاتحان مشهوران بالمغرب العربي، وقد ذكروا لهما صحبة، وكذلك التابعي حنش الصناعي (١٠٠ هـ)^(٦) الذي استقر بالقيروان

(١) سفيان بن وهيب، دخل إفريقية مرتين ستي ٦٠ و٧٨. وهو صحابي مشهور عند العجمي وابن حبان. انظر أسد الغابة. رقم ٢١٣٠ ج ٢ ص ٣٠٣ / الاستيعاب ج ٣ ص ٤ / الإصابة ج ٣ ص ١٣١.

(٢) معالم الإيمان ج ١ ص ١٥١ / الاستيعاب ج ٢ ص ٣٤.

(٣) انظر: ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١ ج ٢ ص ٤٨٨ / معالم الإيمان ج ١ ص ١٦١ / الإصابة ج ٢ ص ٣٨٢.

(٤) معاوية بن خديج مختلف في صحبته. انظر أسد الغابة رقم ٤٩٨٢ ج ٤ ص ٣٠٢ / الاستيعاب ج ٣ ص ١٨٠ / الإصابة ج ٦ ص ١٤٧.

(٥) يوسف حواله: الحياة العلمية في إفريقية المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، ٩٠، ٤٥٠ هـ، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠٠٠ ج ١ ص ٢١١-٢٠٢.

(٦) في ترجمة حنش الصناعي انظر: تهذيب التهذيب ج ١ ص ٥٠٣ / جذوة المقتبس رقم ٤٠٣ ص ٢٠١ / ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨. رقم ٣٩١ ص ١٢٥.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

وكان له بها مسجد، وكان قد تلّمذ لابن عباس، وروي أنه له مصحفاً،
وعليه تخرج تلامذة عدیدون.

لا تسعفنا المصادر كثيرةً في أثر الصحابة في الإقراء نظراً لاشتغال المصادر الأولى المتعلقة بالفتح بالقضايا السياسية والعسكرية، لكننا سنجد إشارات واضحة في عهد التابعين في موضوع الإقراء والتعليم.
وفي قضايا وجود بعض المصاحف الخاصة ببعض الصحابة.

٣ - بعثة عمر بن عبد العزيز:

تعد البعثة العلمية التي أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز (١٠١ هـ)
سنة مائة للهجرة^(١) انعطافاً مهماً لترسيخ العلم والعناية بالقرآن؛ وذلك من
أجل استدراك أخطاء الخلفاء قبله في التركيز على العمل العسكري
والإداري لتنظيم أقاليم المغرب وإفريقيا، فكانت هذه البعثة العلمية
لترسيخ الإسلام في قلوب المسلمين الجدد، وتفقيههم وتعليمهم الحلال
والحرام والسنن وقراءة القرآن.

رأس هذه البعثة التابعي إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر^(٢) الذي

(١) عن البعثة العلمية لعمر بن عبد العزيز انظر ابن عذرائي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، (ت ج. س كولان وليفي بروفنسال -٣ أجزاء- وإحسان عباس-جزء٤-. بيروت، دار الثقافة-د، ت-ج١ ص٤٥ / طبقات أبو العرب ص٨٤/ معالم الإيمان ج١ ص٦٧

(٢) تهذيب التهذيب ج ١ ص ١٦٠/ معالم الإيمان ج ١ ص ٢٠٣ / طبقات أبو العرب ص٨٤.

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

تولى ولاية إفريقية وكان زاهداً عالماً، فأسلم على يديه عامة البربر، وكذلك فعل بقية التابعين من البعثة الذين تركوا أثراً واضحاً في ربوع إفريقية.

ويمكن القول أن المغرب الإسلامي عرف مرحلة التوسيع في الاختيار للقراءات العثمانية، حيث تعددت المصاحف^(١)، ويظهر ذلك في ما بقي من تفسير يحيى بن سلام البصري (٢٠٠ هـ)^(٢) الذي استقر بالقيروان وأملأ بها دروسه في التفسير. وظهر تأثيره بالبصريين كثيراً، وقد اختصر تفسيره الإمام ابن أبي زمین الأندلسي^(٣).

يمكن القول أنه بحلول القرن الثالث الهجري بدأت الغلبة لثلاث قراءات مشهورة دون الباقي - مع ملاحظة أن استقرار القراءات على

(١) هند شلبي: القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري. بيروت، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥. ص ١٥٠.

(٢) في ترجمة يحيى بن سلام انظر: طبقات أبو العرب ص ١١١ / معالم الإيمان ج ١ ص ٢٩٣ / الذهبي شمس الدين: سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٥١١ / ابن الجوزي: غاية النهاية في طبقات القراء ج ٢ ص ٢٧٣.

(٣) ابن أبي زمین محمد بن عبد الله الألبيري محدث أصولي له: مختصر المدونة، أصول السنة، منتخب الأحكام. توفي سنة (٣٩٩ هـ) انظر: ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب (ت محمد الأحمدي أبو النور) ط ٢، القاهرة، مكتبة دار التراث، ٢٠٠٥. ج ١ ص ٣٨٥ / سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٤٠٦ / شذرات الذهب ج ٣ ص ١٥٦ / الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨. رقم ٦٧ / ابن بشكوال: كتاب الصلة. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨. رقم ٤٧ ج ١٠ ص ٤٨٢ .

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

السبعين كان على يد ابن مجاهد (٤٣٢٤هـ)^(١) - وهذه القراءات التي سادت بال المغرب هي قراءة أبي عمرو البصري، وحمزة الكوفي، ونافع المدني. مع حضور لقراءة ابن عامر بالأندلس بسبب كثرة الشاميين بها. ويمكن العودة بأسباب ذلك إلى :

أ - قراءة أبي عمرو البصري^(٢): ويرجع انتشارها لانتساب صاحبها إلى مركز العلم الكبير البصرة، حيث كانت هذه الأخيرة موئل القراء واللغويين، ولارتباط رجالات العلم من حلق أهل الرأي ببغداد بها، ولذلك كثرت المصاحف المكتوبة والمقروءة بها في الأيام الأولى^(٣)، فضلاً عن ارتباط إباضية المغرب بمركز الدعوة لديهم بالبصرة إذ ورد منها حملة العلم في المذهب الإباضي الذي عم طرابلس وبلاط الجريد التونسية والمغرب الأوسط^(٤).

(١) ابن مجاهد البغدادي أحمد بن موسى. انظر السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، بيروت، دار المعرفة، د-ت ج ٢ ص ١٠٢ / سير أعلام النبلاء ج ٩ ص ٤٥٧.

(٢) أبو عمرو بن العلاء التميمي، (ت ١٥٤هـ) اشتهرت قراءته بروايتها الدوري والسوسي. انظر غایة النهاية ج ١ ص ٢٦١ / الأندرابي أحمد بن عمر المقرئ: قراءات القراء المعروفيين بروايات الرواة المشهورين (ت) أحمد نصيف الجنابي ط ٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦. ص ٨٣.

(٣) هند شلبي: القراءات إباضية ص ٢٠٧.

(٤) البصرة هي مركز أهل الدعوة والاستقامة الإباضية وكان إباضية المغرب يأخذون العلم من حلقاتها. انظر: الشماخي: كتاب السير، (ت محمد حسن)، ط ١، بيروت، دار المدار الإسلامي، ج ٢ ص ٢٤٦ / مصطفى بن ادريس: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري. ط ١، القرارة، نشر جمعية التراث، ٢٠٠٣. ص ٧٩.

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

بـ- قراءة حمزة الكوفي^(١): والسبب في انتشارها وجود تلامذة أفارقة ولجوا الكوفة وتفقهوا بعلمائها، وخاصة أبي حنيفة (١٥٠ هـ)، وسفيان الثوري (١٦١ هـ) الذي أدخل جامعه في الحديث إلى إفريقية عبد الله بن غانم (١٩٠ هـ)^(٢)، وكذا زميله عبد الله بن فروخ (١٧٥ هـ)^(٣) وهما أيضاً من تلامذة مالك.

كما يرجع انتشارها إلى رسمية المذهب الحنفي أيام دولة الأغالبة^(٤)، حيث كان هؤلاء على مذهب الدولة العباسى الرسمي فكان أغلب القضاة والمفتين أحنافاً، ومنبع المذهب هو الكوفة حيث كانت قراءة حمزة. وعندما شهدت إفريقية الصراع بين أهل المدينة تلامذة مالك والأحناف أيام محنّة خلق القرآن وظهر التدافع بين الفريقيين والذي انتهى إلى

(١) حمزة بن أبي حبيب الكوفي، إمام القراء بعد عاصم والأعمش توفي سنة (١٥٦ هـ) اشتهرت قراءته برواياته خلف وخلاق. انظر غایة النهاية ج ١ ص ٢٦١ / الأندرابي : قراءات القراء المعروفين ص ١٠٩ .

(٢) عبد الله بن غانم الرعيني قاضي إفريقية سمع من مالك وأبي يوسف وسفيان. انظر: طبقات أبي العرب ص ١١٦ / المعالم ج ١ ص ٢١٥ / تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٩١ / ترتيب المدارك ج ١٧٩ ص ٤٠٢ .

(٣) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٤٠٢ / طبقات أبي العرب ص ١٠٧ / الرياض ج ١ ص ١١٣ / عياض القاضي : ترتيب المدارك وتقرير المسالك (ت محمد سالم هاشم)، ط ١ بيروت دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ . ج ١ ص ١٩٤ .

(٤) انظر في المذهب الحنفي بإفريقية: عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبى بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية. ط ١، تونس، دار سحنون، وبيروت، دار ابن حزم، ٢٠٠٨ . ص ٦٩ .

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

السيطرة المالكية بسبب صمودهم دون العراقيين في وجه المذهب الشيعي الإسماعيلي إبان غلبة واستبداد الدولة الفاطمية التي ركبت الصعب والذلول لاجتثاث مذاهب السنة وإلغاء شعائرها كصلاة للتراويف وفرض الأذان الجديد وغير ذلك. وهو ما أدى في النهاية إلى شيوع قراءة نافع المدني كما سيأتي.

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

ثالثا: التأسيس العلمي لقراءة نافع المدنی^(١)

لقد سادت قراءة نافع وتأسست علمياً بما كتب فيها ولها في مصنفات المغاربة والأندلسين حتى شاعت وذاعت وجهل المبتدئون غيرها، فعرف المغاربة هذه القراءة برواية ورش التي يقرأ بها في المغرب الأوسط(الجزائر) والمغرب الأقصى (مراكش)، وبرواية قالون في المغرب الأدنى (تونس وليبيا) ، ويمكن أن نلخص أسباب انتشار قراءة نافع بما يأتي :

١- غلبة مذهب مالك على أهل إفريقيا والأندلس، بعوامل عديدة استقاصها الدارسون^(٢)، ومن أهمها المكانة العلمية والذاتية التي يحظى بها الإمام مالك في أذهان المغاربة، باعتباره وارث علم السلف من الصحابة والتابعين الذين ثروا في المدينة، فضلاً عما اشتهر به من الزهد والصلاح ولزوم الحرم النبوي، وقد شاع عندهم الأثر: "يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون

(١) نافع بن عبد الرحمن المدنی، أخذ عن سبعين من التابعين، توفي سنة ١٦٩ هـ اشتهرت قرائته برواياتي ورش و قالون. انظر غایة النهاية ج ٢ ص ٣٣٠ / الأندرابي : قراءات القراء المعروفيين ص ٥١.

(٢) انظر محمد بن حسن شرحيلی: تطور المذهب المالکی فی الغرب الإسلامی حتى نهاية العصر المرابطي. المغرب، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٤٢. ٢٠٠٠.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

أعلم من عالم المدينة^(١)، هذا فضلاً عما للمدينة المنورة من هيبة في الذهنية الإسلامية حيث كانت بمنأى عن نزعات الأهواء وصراعات الفرق التي تموج بها الشام والعراق.

- رحلات الحج والعمرة التي جعلت من الحجاز الوجهة الأولى في الطلب العلمي، فكان أكثر تلامذة مالك من الجهة الغربية من مصر وما يليها من المغارب الثلاث والأندلس، ومن هؤلاء الذين نشروا المذهب وناصروه عبد الرحمن بن القاسم العتيقي (١٩١هـ)^(٢)، وأبو الحسن علي بن زياد (١٨٣هـ)، والبهلول بن راشد (١٨٣هـ)^(٣).

إن عوامل انتشار وانتصار مذهب مالك في المغرب الإسلامي تقاسمتها عوامل انتشار واحتياج قراءة نافع، وعلى الخصوص مسألة متابعة السلف والبعد عن الرأي فقد كان نافع "مع علمه بالقرآن ووجوه علومه يتبع النقل والأثر ويتجنب القياس برأيه والنظر"^(٤)، وكذلك قضية التلمذة والتلقى من المدرسة المصرية والمدنية، فكثير من طلاب القراءات

(١) سنن الترمذى: كتاب العلم، باب ما جاء في عالم المدينة، الحديث رقم ٢٦٨٩.

(٢) في ترجمة ابن القاسم العتيقي شيخ المدرسة المصرية المالكية انظر: ترتيب المدارك ج ١ ص ٢٥٠ /الديباج المذهب ج ١ ص ٤٠٠ / مخلوف محمد : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، بيروت، دار الفكر - د، ت. رقم ٢٤ ج ١ ص ٥٨ / سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٣٦٧ / ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د- ت. ج ١ ص ٣٢٩ .

(٣) انظر في ترجمة البهلول : ترتيب المدارك ج ١ ص ١٨٨ / طبقات أبي العرب ١٢٦ /الديباج المذهب، ج ١ ص ٢٨٠ .

(٤) الأندراibi : قراءات القراء المعروفين ص ٥١ .

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

وجدوا في هذين المركزين العلميين ضالتهم، ومن هؤلاء:

- صقلاب بن زياد القيرواني (١٩٣ هـ) الذي أخذ عن مالك الفقه وعن نافع القراءة^(١).
- كردم بن خالد التونسي الذي تتلمذ لنافع في المدينة أيضاً^(٢).
- أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ (٢١٢ هـ)^(٣).
- أبو يحيى زكريا بن يحيى الوقار المصري الذي قدم إفريقيا هرباً من محنّة خلق القرآن بمصر^(٤).
- أبو عبد الله محمد بن عمر خيرون المعافري^(٥) الذي اختص في القراءات وبه اشتهرت قراءة نافع وقد سمع من تلامذة ورش، توفي في سوسة بتونس سنة (٣٠٦ هـ)، بعدما رحل إليه الطلاب من الآفاق.

قال ابن الفرضي : "قدم بقراءة نافع على أهل إفريقيا، وكان الغالب على قراءتهم حرف حمزة، ولم يكن يقرأ بحرف نافع إلا خواص حتى قدم ابن

(١) طبقات أبي العرب ص ١٣٩ / المعالم ج ١ ص ١٣٥ .

(٢) غاية النهاية ج ٢ ص ٣٢ / القراءات بإفريقية ص ٢١٧ .

(٣) طبقات أبي العرب ص ١٦٣ / غاية النهاية ج ١ ص ٤٦٣ / تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٤٥٩ .

(٤) طبقات أبي العرب ص ١٨٢ / ترتيب المدارك ج ١ ص ٣٣٥ / ابن فردون: الديبايج المذهب ج ١ ص ٣٢٢ .

(٥) بغية الملتمس رقم ٦٦٢ ص ١١٣ / غاية النهاية ج ٢ ص ٢١٧ / شجرة النور الزكية رقم ٨١ ص ١٤٦ .

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

خيرون فاجتمع إليه الناس، ورحل إليه أهل القิروان من الآفاق.^(١)

وإضافة إلى التلمذة المباشرة لنافع أو تلامذته، فإن فقهاء المالكية الأوائل بإفريقية وفي سبيل محاصرة "التمشريق"، كما يسمونه، سواء كان من الأحناف الذي ظهرت لهم بعض السوءات في محبة خلق القرآن، أو من الفاطميين الإسماعيليين الذين أذاقوا المالكية صنوف القهرا والاضطهاد ومصادرة الأموال والتضييق على الشعائر السنوية، سعوا إلى ترسيخ مذهب أهل المدينة لا على سبيل التشكيك في بقية القراءات، ولكنها الرغبة في واحدة ثقافية في الفقه والعقيدة والقراءة لمحاصرة مسارب المذاهب الأخرى التي تمتزج من البصرة والكوفة وهمما عش أهل الأهواء كما يقولون.

ولهذا فإننا نجد الموطّد الأهم لمذهب مالك وهو سحنون بن سعيد (٢٤٠هـ)^(٢) دعا إلى التمسك بقراءة أهل المدينة ممثليـن في مقرئـهم نافع الذي كان الإمام مالك يقدمـه على غيره لسلامـة النقل وقربـه من مشـكة النبوـة، إذ نقلـ عنه قوله: "قراءـة أهلـ المدينةـ سنةـ، قـيلـ لهـ: قـراءـةـ نـافـعـ؟ـ قالـ:ـ نـعمـ."ـ

كما أوصـى بـعدهـ ابنـهـ محمدـ بنـ سـحنـونـ (ـتـ ٢٥٦ـهـ)^(٣)ـ فيـ رسـالـتهـ

(١) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس رقم ١٣٩٥ ص ٤٨٨.

(٢) في ترجمة سحنون انظر ترتيب المدارك ج ١ ص ٣٣٩ / الدياج ج ٢ ص ٢٤ / شجرة النور رقم ٨٠ ج ١ ص ٦٩.

(٣) في ترجمة محمد بن سحنون انظر ترتيب المدارك ج ١ ص ٤٢٤ / الدياج ج ٢ ص ١٣٣ / شجرة النور رقم ٨١ ص ٧٠.

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

الموجهة إلى المعلمين أن يتزموا قراءة نافع في تعليم الأولاد وترك ما سواها: "ويلزمهم أن يعلمهم ما علم من القراءة الحسنة، وهو مقرأ نافع، ولا بأس إن أقرأهم لغيره ما لم يكن مستبشعًا مثل "ييشرك"^(١) و"ولده"^(٢) و"حرم على قرية"^(٣) وما أشبه هذا".^(٤)

وإن كنا لا نسلم لابن سحنون وصف المتواتر من القراءات بالمستبشع، فكلها قراءات متواترة، ولكن الظاهر أن شيوخ القراءة نافع جعل من غيرها غير مطروق للأسماع، ولذلك عبر عنه بهذا التعبير.

وفي نفس الاتجاه الراغب في فرض الواحدية القرآنية أمر القاضي عبد الله بن طالب (ت ٢٧٠ هـ)^(٥) "ألا يقرأ في جامع القبروان إلا بقراءة نافع"^(٦) وهي استمرارية في الانتصار لمذهب أهل المدينة، إذ سبق وأن كتب ردوده على الأحناف في كتابه "الرد على من خالف مالك".

(١) "بشرك بغلام" سورة مريم الآية ٧. و"يشرك بكلمة منه"، سورة آل عمران الآية ٤٥. بفتح الياء وسكون الباء، وهي قراءة حمزة والكسائي.

(٢) "ولدته إلا خسارا" سورة نوح الآية ٢١. وهي بضم الواو الثانية وإسكان اللام قراءة حمزة والكسائي.

(٣) "حرم على قرية" سورة الأنبياء الآية ٩٥. بكسر الحاء وإسكان الراء وهي قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٤) محمد بن سحنون: كتاب آداب المعلمين. (ت محمود عبد المولى)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١. ص ٨٢.

(٥) الديبايج ج ١ ص ٣٦٦ / شجرة النور رقم ٨٤ ص ٧١ / ابن عذاري ج ١ ص ١٢١.

(٦) عياض: ترتيب المدارك ج ١ ص ٤٨٣.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

استمر فقهاء المالكية على الإشادة بقراءة نافع، ومرت الأعراف بالمساجد ألا تكون القراءة إلا بها مع شيوخ القراءة والتعليم لغيرها في الحلق العلمية، ولكن القراءة الرسمية لمتولي خطط الخطابة والإماماة لم تكن إلا بها، ولذلك فإنه عندما يند قارئ فيقرأ بغيرها تثور حوله المشكلات والانتقادات من العامة. كما نقل أن بعضهم شنّع على إمام قرأ بقراءة أبي عمرو البصري برواية اليزيدي (٢٠٢ هـ)^(١) فقال له أحدهم: قد انساغت لك هذه القراءة وإنها حسنة" ، فقال له رجل: ما هي مستوية، قراءة نافع أحسن منها استواء.."^(٢)، فكان جواب الإمام أبي الحسن القابسي (٤٠٣ هـ)^(٣) توجيه الجميع إلى أن الكل قراءات متواترة.

لقد أحس المغاربة ببعدهم عن مراكز الإقراء والرواية بالشرق، فعوضوا هذا القصور بالانكباب على خدمة القراءات عامة وقراءة نافع خاصة، وحسناً فعلوا حتى أنهم بزوا غيرهم في ذلك، وصارت مؤلفاتهم المتقدمة والمتاخرة في القراءات والرسم والتفسير مراجع ومقررات لمؤسسات علمية عريقة، فكيف بدأت المسيرة في خدمة القراءات علمياً

(١) اليزيدي يحيى بن المبارك البصري، أخذ عن حمزة وأبي عمرو وهو أحد العشرة. غاية النهاية ج ٢ ص ٣٧٥ / الأندرابي ص ٨٥.

(٢) الونشريسي أحمد بن يحيى: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب (ت محمد حجي)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١ ج ١ ص ١٨١.

(٣) في ترجمة القابسي انظر: ترتيب المدارك ج ٢ ص ٣٢٣ / شجرة النور رقم ٢٣٠ ص ٩٧ / ابن كثير أبوالفدا: البداية والنهاية، ط ٦، بيروت، دار المعارف، ١٩٨٦. ج ١١ ص ٣٥١ / شذرات الذهب ج ٣ ص ١٦٨ / سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٣٩٢.

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

وترسيخ قراءة نافعٍ تطبيقياً؟

يعود ابن خلدون بهذه الريادة المغربية الأندلسية إلى ما يمكن اعتباره مدينة فاضلة رأسها عالم مستنير في مدينة دانية شرق الأندلس، حيث يقول في وصف هذه الانطلاقـة الوثابة في علم القراءات: "إلى أن ملك شرق الأندلس مجاهد^(١) من موالي العامريين وكان معتنـياً بهذا الفن من فنون القرآن، لما أخذـه به مولـاه المنصور بن أبي عامـر. واجتهدـ في تعليمه وعرضـه على ما كانـ من أئمـة القراءـة بحضرـته، فـكان سـهمـه في ذلك وافـراً، واختـص مجـاهـدـ بعد ذلك بـإمـارة دـانـيـةـ والـجـازـيـةـ الشـرـقـيـةـ، فـنـفـقـتـ بـهـاـ سـوقـ القراءـةـ لـمـاـ كـانـ هوـ مـنـ أـئـمـتهاـ"^(٢).

يحيلـنا هذا النـصـ إلى دورـ السـلـطـةـ السـيـاسـيـةـ فـيـ العـنـايـةـ بـالـحـرـكـةـ الـعـلـمـيـةـ، فـمـنـ الـمـعـلـومـ أـنـ أـرـضـ الـأـنـدـلـسـ لـمـ تـكـنـ خـلـوـاـ تـمـاماـ مـنـ الـقـرـاءـاتـ، وـلـكـنـهـاـ لـمـ تـكـنـ بـتـلـكـ العـنـايـةـ التـالـيـةـ التـيـ وـصـلـتـ إـلـىـ مـرـحـلـةـ الـأـسـتـاذـيـةـ، وـفـيـ تـوـصـيـفـ الـمـرـحـلـةـ الـأـوـلـىـ يـقـولـ ابنـ الجـزـرـيـ: "لـمـ يـكـنـ بـالـأـنـدـلـسـ وـلـاـ بـلـادـ الـمـغـرـبـ شـيـءـ مـنـ هـذـهـ الـقـرـاءـاتـ إـلـىـ أـوـاـخـرـ الـمـائـةـ الـرـابـعـةـ، فـرـحـلـ مـنـهـمـ مـنـ روـيـ الـقـرـاءـاتـ وـدـخـلـ بـهـاـ"^(٣).

(١) مجـاهـدـ بنـ يـوسـفـ العـامـريـ مؤـسـسـ الـدـوـلـةـ الـعـامـرـيـةـ بـدـانـيـةـ وـمـبـرـوـقـةـ، أـدـيـبـ حـافظـ عـالـمـ بـالـقـرـآنـ. تـوـفـيـ سـنـةـ ٤٣٦ـهــ. انـظـرـ: بـغـيـةـ الـمـلـتـمـسـ رـقـمـ ١٣٨٠ـصـ ٤٧٢ـ جـذـوـةـ المـقـبـيـسـ رـقـمـ ٨٢٩ـصـ ٣٥٢ـ.

(٢) ابنـ خـلـدونـ عـبـدـ الرـحـمـانـ: المـقـدـمـةـ. (تـ درـوـيـشـ الجـوـيدـيـ) طـ ٢ـ. صـيـداـ. الـمـكـتـبـةـ الـعـصـرـيـةـ. ١٩٩٧ـ. صـ ٤٠٨ـ.

(٣) ابنـ الجـزـرـيـ: النـشـرـ فـيـ الـقـرـاءـاتـ الـعـشـرـ صـ ٣٤ـ.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

لقد نفقت سوق القراءات بالأندلس وتونس خاصة، وقامت لها مدارس، ومن أهم رجالاتها الذين أسهموا في التأليف والكتابة في خلال الدولة العامرية، ما يأتي:

أ - مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)^(١): إمام القراء والمجدودين كما يقول ابن الجزري الذي جلس للإقراء أربعين سنة، وخلف كتاباً في الدرائية مثل: "الإبانة عن معاني القراءات"^(٢)، وهو في العلل، وفي الرواية ترك كتابة "التبصرة في القراءات السبع"^(٣). وفي تجويد القرآن "الرعاية لتجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة"، ومؤلفاته الخادمة للقرآن تزيد على مائة مصنف. ويمكن اعتباره مع أبي العباس أحمد بن عمر المهدوي التونسي (٤٣٠هـ)^(٤) صاحب كتاب "الهداية"، وأبا عمر الطلموني (٤٢٠هـ)^(٥) والذي أدخل علم القراءة للأندلس، وكان إماماً في القراءات مذكوراً فاضلاً شديداً في كتاب الله، فهو لاء هم رواد مدرسة القراءات في المغرب الإسلامي.

(١) مكي بن أبي طالب ترجمته في ترتيب المدارك ج ٢ ص ٣٠٤/ جذوة المقتبس رقم ٨٢٠ ص ٣٥١/ الصلة رقم ١٣٩٠ ج ٢ ص ٦٣١.

(٢) حقق مرتين مرة على يد محبي الدين رمضان وطبع بدمشق سنة ١٩٧٩ . وأخرى على يد عبد الفتاح إسماعيل شلبي بدار نهضة مصر ١٩٧٩ .

(٣) انظر عبد الرحمن العك: تاريخ توثيق القرآن الكريم ص ١٣٩ .

(٤) في ترجمة المهدوي التونسي انظر ابن بشكوال: كتاب الصلة رقم ١٨٨ ج ١ ص ٦٦ .

(٥) في ترجمة الطلموني أبو عمر انظر ترتيب المدارك ج ٢ ص ٣١٢/ جذوة المقتبس رقم ١٨٧ ص ١١٤ .

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

ب- أبو عمر الداني (٤٤٤هـ)^(١): العالم الذي أشرب صدره ما سبقه به متقدموه من الأندلسيين والتونسيين، وقد انتهت إليه رئاسة الإقراء حتى وصفه المشارقة: "بالمقرئ المتقدم وإليه المنتهى في علم القراءات وإتقان القرآن، والقراء خاضعون لتصانيفه، واثقون بنقله في القراءات والرسم والتجويد والابتداء وغير ذلك"^(٢).

وقد خلف لنا موسوعته الرائدة "التيسير في القراءات السبع" الذي وصفه ابن خلدون بقوله: "فظهر لعهده أبو عمر الداني وبلغ الغاية في القراءات، ووقفت عليه معرفتها، وانتهت إليه روایته أسانیدها، وتعددت تآلیفه فيها، وعوّل الناس عليها وعدلوا عن غيرها"^(٣).

ج- الشاطبي : أبو القاسم بن فيرة أبو خلف الضرير (ت ٥٩٠هـ)^(٤) ،

(١) في ترجمة أبي عمر الداني انظر: البغية رقم ١١٨٦ ص ٤١١ / جذوة المقتبس رقم ٢٧٠٢ ص ٣٠٥ / الصلة رقم ٢٨٧٦ ج ٤٠٥ / غایة النهاية ج ١ ص ٥٠٣ .

(٢) المقرئ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب(ت يوسف الشيخ محمد البقاعي) ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٨ .
ج ٢ ص ٢٨٦ .

وانظر أيضاً: انخل بالنتيا : الفكر الأندلسي (ت حسين مؤنس) ط٢، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٨ . ص ٤٥٨ .

(٣) ابن خلدون: المقدمة ص ٤٠٨ .

(٤) في ترجمة الشاطبي ابن فيرة انظر الديبايج ج ٢ ص ١١٦ / شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٠١ / غایة النهاية ج ٢ ص ٢٠ / ابن خلkan أبو العباس شمس الدين: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل) ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ . رقم ٣٥٧ ج ٣ ص ٤٩٨ .

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

الذي جاوز سابقيه في نظم القراءات بمنظومته "حرز الأماني" ووجه التهاني في القراءات السبع المثاني ، وبلغت أبياتها (١٣٧٠) وهو من المستعصي عادة ، " فعمد إلى تهذيب ما دونه أبو عمرو وتلخيصه ، فنظم ذلك كله في قصيدة لغز فيها أسماء القراء بحروف (أبجد) على ترتيب أحكمه ليتيسر عليه ما قصده من الاختصار، ولن يكون أسهل للحفظ لأجل نظمها فاستوعب فيها الفن استيعاباً حسناً، وعني الناس بحفظهما وتلقينها الولدان المتعلمين، وجرى العمل على ذلك في أمصار المغرب والأندلس^(١) ، ومن ذلك الحين صارت الشاطبية معول الناس والمرجع الأهم في معاهد تحفيظ القرآن الكريم مشرقاً ومغرباً.

لقد برع المغاربة في الإقراء وبرزت كراسى الإقراء في مساجد الأندلس والمغرب في قرطبة وفاس وألميرية والقيرة ووجدة. والمتبعة لكتب التراجم والفالئرس والبرامج والأثبات والطبقات والتاريخ والرحلات لا يغفل عن قراءة كبار أمثال : عيسى بن محمد بن فتوح الهاشمي(٥٦٠ هـ) صاحب: التقرير والحرش في أصول قراءة قالون وورش^(٢) وأبا جعفر ابن البادش (٥٤٠ هـ)^(٣) صاحب: " الإقناع في القراءات" قالوا : لم يؤلف مثله، وكتاب " الطرق المتداولة". وكذلك ابن عظيمة أبو الحسن المقرئ (٥٤٣ هـ) الذي برع في التجويد وله: "جالب

(١) ابن خلدون: المقدمة ص ٤٠٨ .

(٢) ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة رقم ٢٠٦٩ ج ٢ ص ٧٣٠ .

(٣) بشكوال: كتاب الصلة رقم ١٧٩ ج ١ ص ٨٢ / بغية الملتمس رقم ٤٥٦ ص ٢٠٠ .

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

"الإفادة في مخارج الحروف" وله شرح قصيدة الشقراطيسي (٦٤٤ هـ)، وله أيضاً "الفريضة الحمصية في شرح القصيدة الحصرية"^(١)

إن الصفحات تنوه عن حمل أسماء الأعلام والكتب الدالة على الاعتناء العظيم للمغاربة بالكتاب العزيز حفظاً وتلاوةً وإقراءً. ويكفي في الدالة على هذا التراث الضخم ضميمة تاريخية متعلقة بكثرة الحفاظ في هذه الأصقاع وشدة ضبطهم للرسم والتجويد وهو أمر مشهود معلوم.

(١) انظر دنس: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ص ٣٩٥ /غاية النهاية ج ١ ص ١١٦.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

رابعاً: جهود المغاربة في الانتصار للقرآن وجدل المخالفين

لقد نفذ القضاء على المغرب الإسلامي أن يكون حصنًا منيعًا للقرآن الكريم حفظاً وقراءةً وتلاوةً وتفسيرًا، وذلك أن الواحدية الثقافية والمذهبية في صيورتها التاريخية أدت إلى نفي الفرق المضلة والمذاهب الزائفة عن أهل السنة والجماعة، وهذه الصيورة هي ثمرة للجهود المتراكمة في إحلال النص الشرعي مكانه في منظومة الحياة الثقافية، وهي الجهود الجليلة التي بذلها العلماء والحكام في ترسیخ تقاليد سائرة حفظت للقرآن مكانه في المساجد والزوايا والرباطات. بل إن هذه الجهود لم تتوان عن رفع السيف ضد الفرق المنحرفة التي ابتدعت قراءات جديدة لبناء ديانات منحرفة ملقة.

ففي العصر الأول التي سادت فيه مذاهب الخارج الإباضية والصفيرية وهي مذاهب تتخذ من القرآن الكريم أصلًاً أصيلاً لمقولاتها لم تكن معركة أهل السنة معهم في أصالة وصحة النص القرآني وإنما في التأويل بعيد لبعض الآيات المتعلقة بالأسماء والأحكام وبباقي القضايا العقدية^(١).

إلا أنه عندما بُرِزَ قرن التشيع الإمامي في الدولة الفاطمية اتّخذت المعركة منحى آخر في الدفاع عن النص القرآني وإثبات تواتره وعدم تحريفه كما يدعى الشيعة، و خوض معركة عدالة الصحابة وصدقهم، أما

(١) انظر إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة. ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، ٢٠٠٥. ص ٣٦٢.

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

الأهم في القضية فهو الهجوم والنقض للتأويلات الباطنية لظواهر القرآن التي بالغ فيها الشيعة الإسماعيليون، وجعلوها من أركان العقائد، فحرفوا بذلك عديد النصوص؛ لتسقّي مع عقائدهم الباطلة في عصمة الأئمة^(١)، وغير ذلك من التشريعات المنحرفة، كزواج المتعة، والزيادة في الآذان، ومخالفة المؤثر من ميراث البنات.

تميّزت مقاومة أهل السنة لهذا التيار التحريفي بمستويين أحدهما عملي جهادي : قام به الفقهاء في تأليب الناس ضد السلطة، بل والمشاركة في الثورة ضدها كما حصل من تأييدهم لثورة صاحب الحمار أبي يزيد بن فدين الإباخي النكاري^(٢).

ولقي المالكيّة العنت الشديد من القتل والمصادرة والنفي، حتى أنَّ كثيرين قضوا في دار النحر والتعذيب. والمصنفات طافحة بهذا الجهد الذي آتى أكله في حفظ عقائد العامة من تدليس وتلبيس الشيعة الإسماعيليين.

وفي وصف تلك المعركة الجائرة التي استعمل فيها سيف السلطة

(١) انظر: الغزالى أبو حامد: فضائح الباطنية، صيدا، المكتبة العصرية، ٢٠٠١. ص ٥٩/محمد أحمد الخطيب: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي. ط٢، الأردن، مكتبة الأقصى، ١٩٨٦. ص ١٠٠.

(٢) انظر ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي. (ت عبد الرحمن بدوي) ٢١، بيروت، دار الغرب الإسلامي ١٩٨١. ص ١٦٢. محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري. الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٨٥. ص ٢٣٧.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

ضد أهل السنة ما قاله القابسي أبو الحسن: "إن الذين قتلهم عبيد الله الفاطمي - وبنوه أربعة آلاف في دار النحر في العذاب من عالم وعابد؛ ليروهم عن الترضي عن الصحابة فاختاروا الموت" ^(١).

ومن هذا الجهاد الأحكام القضائية التي صدرت ضد دعاة التشيع في الأندلس - وهي أرض سنية لم تخضع للفاطميين - كما حصل للداعي أبي الخير الإشبيلي الشيعي الذي طعن في القرآن الكريم، وقال: "إن النصف الأخير فيه خرافات، فأفتي القاضي منذر بن سعيد البلوطي (٤٢٠ هـ) ^(٢) بقتله، فصلبه وكان نكالاً لغيره" ^(٣).

أما المستوى الثاني في الدفاع عن النص القرآني : فكان في الردود على تحريفات الشيعة الإمامية وإصدار الفتاوى بکفرهم وخروجهם من الملة. حيث ألف الإمام القلانيقي القيرواني (٣٥٩ هـ) كتابه "الإمامية" ، و"الرد على الرافضة" ، وامتحن لذلك بالحبس والتعذيب ^(٤) ، كما ألف محمد بن سحنون في الإمامية أيضاً ، كما بُرِزَ في مناظرتهم ومجالاتهم الإمام الحداد أبو عثمان (ت ٣٠٢ هـ) ^(٥) ، ولشدة لسانه وصلابته في الحق

(١) الدباغ: معلم الإيمان ج ٣ ص ٣٤ . وانظر المجدوب : الصراع المذهبى بإفريقية ص ١٨٧ .

(٢) في ترجمة منذر بن سعيد انظر: سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٩٥ /فتح الطيب ج ٢ ص ١٩١ / جذوة المقتبس ص ٣٨٤

(٣) إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ص ٣٠٧

(٤) ترتيب المدارك ج ٢ ص ١٦٣ / شجرة النور الزكية في طبقات المالكية رقم ٢١٦ .

(٥) في ترجمة أبي سعيد الحداد انظر: معلم الإيمان رقم ١٥٨ ج ٢ ص ٢٩٥ /رياض النفوس ج ٢ ص ٧٥ .

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

شتبهه أهل القيروان بأحمد بن حنبل.

لم ينصرم قرن الشيعة الإسماعيلية حتى برزت نحلتان خطيرتان في بلاد المغرب الأقصى، وشكلتا خطرًا على وجود الدين نفسه من حيث انتحال صاحبيهما دعوى النبوة والإدعاء بمجيء قرآن معارض للقرآن الكريم، وهما:

١ - نحلة برغواطة وقرآن صالح بن طريف:

برغواطة حركة مبتدعة تنسب لقبيلة برغواطة البربرية، وقد نهلت من الوثنية المغربية، ومن اليهودية أيضًا^(١). وصاحبها هو صالح بن طريف، وقد كان أبوه من أركان الحركة الصفرية الخارجية، وبعد اضطراب أحوال المغرب تزعم صالح قبيلته، ووصفه المؤرخون بأنه كان من أهل العلم والخير فيهم.

ابتدع صالح بن طريف دينًا جديداً ملتفقاً بين الإسلام والتقاليد الوثنية البربرية وادعى النبوة والوحى، وألف قرآنًا مزعوماً بلغت سوره ثمانين سورة، وغلب على عقول أتباعه بالسحر الذي كان عريقاً في جبال المصامدة بالأطلس المغربي.

وصفه ابن خلدون بقوله: "وكان صالح قد حضر مع أبيه حروب ميسرة الصفرى، وكان من أهل العلم والخير فيهم، ثم انسليخ من آيات الله، وانتحل دعوى النبوة، وشرع لهم الديانة وادعى أنه أُنزَلَ عليه قرآن

(١) أفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ص ١٧٩.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

كان يتلو عليهم سوراً منه، منها سورة الديك والجمل والفيل وأدم ونوح وهاروت وماروت وإبليس^(١).

اعتمد صالح بن طريف في تأصيل نبوته على القرآن، حيث زعم أنه المهدى وأنه المذكور في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجَبَرِيلُ وَصَلَاحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤].

تكمّلت هذه الردة الشبيهة بحالة مسيلمة بطقوسها الإسلامية، إذ حافظ صالح بن طريف على المضامين الإسلامية، وأوقع التغيير في شعائر الصلاة والصيام والزواج والصيد. ولم تكن هذه الردة الجماعية خالية من المضمون السياسي، فقد اتخذت شكل التجمعسلح الذي ناوأ الخلافة الأموية في الأندلس، وكذا السلطات القبلية في المغرب، حيث شغل المغرب سنين طويلة بحربهم. فحفيده "يونس بن إلياس بن صالح" قاد الحركة المنحرفة ووضع السيف في أهل المغرب" وقتل من لم يدخل في أمره حتى حرّق مداين" تامسنا" وما والاها، ويقال أنه حرّق ثلاثة وثمانين مدينة واستلحم أهلها بالسيف^(٢)، ودامت حركتهم طويلاً حيث عمرت قرابة الثلاثة قرون، ولم ينته أمر ردتهم وفسادهم إلا مع كتائب المرابطين، وترسخ المذهب المالكي ثم حسم أمرهم مع للموّحدين. والمهم أن أتباعه بقوا يقرؤون بهذا القرآن مددًا كثيرة حتى أنهى أمره وعفا أثره بالجهود المذكورة سلفاً.

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٢٤٥ - ٢٤٦

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٢٤٨ / مجموعة المستشرقين: دائرة المعارف الإسلامية، بيروت، دار الفكر ١٩٨٨. (مادة برغواطة) ج ٣ ص ٥١٦

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

٢ - نحلة غماره وقرآن حاميم :

بموازاة تلك النحلة المنحرفة برب متنبئ آخر وهو "حاميم بن من الله"^(١)، فعلى غرار صالح بن طريف فإنه شرّعن نبوته بدعوى ورود اسمه في القرآن الكريم، وابتدأت هذه الردة في مستهل القرن الرابع الهجري، حيث ضعفت الخلافتان الفاطمية في مصر، والأموية في الأندلس، وانقسم المغرب إلى مجموعات قبلية متقاتلة، مما انجر عن خراب اقتصادي ومجاعة كبيرة حتى عجز الناس عن دفن الموتى^(٢).

ساهمت عزلة جبل "غمارة" في انتشار هذه الردة، كما ساهمت فيه عوامل كثيرة من قبيل شيوع الفكر الخرافي، نتيجة البعد عن المراكز العلمية، وارتباط الناس بشيوخ السحر ومدعّي الكهانة، ومروجي علوم الخط والرمل والتنجيم، وكذا رواج ظاهرة البعاجين، التي أشار ابن خلدون إلى تمكّنها في المغرب، فقال: "وبالمغرب صنف من هؤلاء المتأحّلين لهذه الأعمال السحرية يعرفون بالبعاجين يشيرون إلى الكسأ أو الجلد فيتخرّق، ويُشieren إلى بطون الغنم بالبعج فينبعج.. لقيت منهم جماعة وشاهدت من أفعالهم هذه بذلك"^(٣).

في مثل هذه البيئة تمكّن حاميم من نشر دعوته "فاجتمع إليه كثير

(١) دائرة المعارف الإسلامية (مادة حاميم) ج ٧ ص ٢٧٦ / ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ص ١٨٨٠.

(٢) بوتشيش القادري: الإسلام السري في المغرب، ط ١، مصر، دار سينا، ١٩٩٥، ص ٥.

(٣) ابن خلدون: المقدمة ص ٤٨٥.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

منهم – أي غمارة الغارقين في الجهالة والبعد عن الشرائع بالبداءة والانتباذ عن مواطن الخير – وأقرروا بنبوته وشرع لهم الشرائع والديانات من العبادات والأحكام، ووضع لهم قرآنًا كان يتلوه عليهم بلسانهم، ومن كلامه: يا من يخلقي البصر ينظر في الدنيا خلني من الذنوب، يا من أخرج موسى من البحر، أمنت بحاميم وبأبيه "أبى خلف من الله"، وأمنت "تابعيت" عمة حاميم..^(١).

ربط القرآن الحامي المزعوم نفسه بالنبوات السابقة وجعل الإيمان بحاميم وعائلته عقيدة مركزية، وفي الشرائع أسقط ركن الحج، وقلّص الصلوات إلى صلاتي الصبح والمغرب، وفرض الزكاة العشر من كل متوج، وفرض صيام الأيام الثلاثة الأخيرة من رمضان، وأوجب صيام الأربعاء والخميس إلى الظهر فقط^(٢).

ومن أجل رواج الديانة فقد كان قرآنها ووصايتها تداول باللغة البربرية، ولم تنته هذه الردة الجماعية أيضًا إلا بقعقعة السلاح، حيث ذكروا أن الخليفة "عبد الرحمن الناصر" وضع لها حدًّا سنة (٥٣١ هـ)، وقيل أن حاميم قتل في حروب مصمودة الداخلية^(٣). إلا أن الفضل كله في القضاء على هاتين النحتتين البربريتين المسلمين والقرآنين المزعومين واللتين جاوزتا حدود المشروع والمعقول في البيئة الإسلامية، يعود إلى

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٤٥٢.

(٢) الإسلام السري ص ٧٧

(٣) نفسه ص ٨٥.

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

المرابطين الذين أسهموا بمجهودهم العسكري، ثم العلمي بترسيخهم للمذهب المالكي، وبنائهم للرباطات العلمية، واعتنائهم بالتعليم والعلماء.

إن إنهاء أمر هؤلاء المتبين وقرآنهم المزعوم لم يكن فقط بالجهاد العسكري، وإنما توافق ذلك مع جهد علمي حيث بذله المرابطون في الدفع بالحركة العلمية وترسيخ مذهب مالك حتى أن سوق الفقهاء نفقت في زمانهم كما يقول المراكشي^(١)، ثم في جهود الدولة الموحدية التي أعلت من شأن التعليم القرآني وجعلت طلبة الموحدين الجامعين للقرآن الكريم ومجاميع السنة الصفوة المقدمة في المجتمع. حيث أن ابن تومرت كان لا يقدم على طلبة الموحدين غيرهم، ومن ذلك الحين صار لقب "الطالب" يطلق على المتخصص في القرآن حفظاً وتعلیماً.

ولا أدل على هذه الجهود من كثرة الرباطات والزوايا والمدارس الملحقة بالمساجد والأوقاف العديدة على الطلبة في بلاد المغرب الإسلامي، حتى صار المغاربة أمهر أهل الإسلام في حفظ القرآن الكريم.

لم يكن الوصول إلى هذه النتيجة المرضية في الاعتناء بالقرآن الكريم في المغرب الإسلامي (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، شنقيط) بضربة لازب وإنما هي محصلة لجهاد كبير استعصى على الاستعمار الحديث فك مقاليده ولا الانتهاص منه رغم جهود التنصير العديدة^(٢) ومحاربة

(١) انظر المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار الأندلس والمغرب ص ١٣١.

(٢) انظر في التنصير عمر فروخ ومصطفى خالدي: التبشير والاستعمار. صيدا، المكتبة العصرية، ١٩٨٣. ص ١٢٥.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

اللغة العربية^(١)، ويمكن أن نجمل أسباب هذا الانتصار للقرآن ضد البدع القديمة والاستعمار الحديث فيما يأتي:

- تشريف خدمة القرآن الكريم، فقد كان لهم القدح المعلى في تراتبية المجتمع الإسلامي، فإن اسم الطالب كان يقبح في الأذهان صورة الحامل للدين الذي يستوجب التقدير والتقدير حتى أن كثيراً من العلماء حملوا لقب الطالب طوال مسارهم العلمي.
- كثرة الأوقاف المرصودة على أهل القرآن، إذ أن عديد من المدارس والجامعات كالقىروان والزيتونة وجدت لها أوقاف، وكذا الجامع الكبير بالجزائر الذي قدر المؤرخون مجمل ما رصد لها بما يزيد على ثلث الضياع والدكاكين^(٢)، وتاريخ الرباطات والزوايا شاهد على دور الوقف في الحفاظ على القرآن الكريم وحافظيه.
- العناية بالرسم العثماني عنابة باللغة المقام تشهد به الكتب المنهجية التي ألفها المغاربة، والتي لا تزال عمدة لجان تصحيح المصاحف الشريفة. ومنها منظومة الشريسي الخراز(١٧٨١هـ)^(٣) التي شرحها

(١) في جهود الاستعمار لضرب اللغة العربية في الجزائر مثلا انظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨.
ج٨ ص١٣.

(٢) في أقاف الجامع الكبير انظر: سعيدوني ناصر الدين: دراسات أندلسية. ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣. ص٧٥.

(٣) الخراز الشريسي انظر: سلوة الأنفاس ج٢ ص١١٤ / كحالة: معجم المؤلفين ج٣ ص٦١٧.

جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

العلامة الحافظ التونسي^(١) من الجزائر بكتابه "الطراز في ضبط الخراز"، وكذا عبد الواحد بن عاشر الأنصاري (٤٠١هـ)^(٢) في كتابه "فتح المنان بمورد الظمان في رسم القرآن". وكذا كتاب "دليل الحيران على مورد الظمان" للإمام المارغنى التونسي.

ولا تزال محاضر وكتاتيب المغرب الإسلامي تتلزم هذا الرسم، بل إن الطالب لا يسلم له بالحفظ إلا بعد الختم وإتقان الرسم العثماني وحفظ منظومات الضبط مثل حجر المخلة أو المورد أو غيرها.

الحرص على ترسيخ حفظ القرآن وحده، وذلك بعدم مزجه بأي علم من العلوم أو متن من المتنون. وهي طريقة متبعة انتقدتها ابن خلدون في زمانه بقوله: "فأما أهل المغرب، فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواء في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب. وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أمة المغرب في ولدانهم إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشيبة، وكذا في الكبير إذا راجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره، فهم

(١) في ترجمة الحافظ التنسـي انظر ابن مريم التلمسـاني المديـوني: البستان في ذكر الأولـياء والعلمـاء بتلمسـان. (ت محمد بن أبي شـنب)الجزـائر، ديوـان المطبـوعـات الجـامـعـة، ١٩٨٥. ص ٢٤٨.

(٢) في ترجمة ابن عاشر انظر: الكتاني: سلوة الأنفاس ج٢ ص٢٧٥ / كحالة: معجم المؤلفين ج٢ ص٣٣١.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم^(١).

وهذه الشهادة الناقدة لطرائق التعليم محفوظة، ولكن حجر الزاوية فيها هي أنهم "أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم" لا تزال سارية، وهي تدل على الجهد الكبير الذي بلغه المغاربة في ترسيخ تعليم القرآن وحفظه، وبذلك نسي المغاربة بداع الفرق المنحرفة التي حاولت معارضة القرآن.

- ومن المسائل التي ابتدعها المغاربة لترسيخ هيمنة القرآن وحفظه مجالس الإقراء الجماعي التي يتم فيها تكرار القرآن جماعياً، مما لم يكن معهوداً عند السلف، وهي مسألة أثارت خلافاً كبيراً عند فقهاء المالكية، فإن كان الصدر الأول قد ذمها مثل الإمام مالك كما نقل المازري "أن مالكاً كره ذلك في المدونة، ولعله إنما قال ذلك ؛ لأنه لم ير السلف يفعلونه مع حرصهم على الخير".

إلا أن الونشريسي نقل عن المؤخرين أنه مما جرى به العمل عند المالكية، حيث قال: "وجرى الأمر عليه بالمغرب كله، بل والمسرق فيما بلغنا ولا نكير، وما هو إلا من التعاون على البر وعمل الخير ووسيلة لنشاط الكسلان، وقد نصوا على أن حكم الوسائل على حكم المتousel إليه"^(٢).

وهو نفس ما أجاب به أبو الحسن القابسي في قراءة الحزب الراتب -

(١) ابن خلدون: المقدمة ص ٥٣٦

(٢) الونشريسي: المعيار المعرّب ج ١١ ص ٦٠.

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

وهي العادة المتبعة في المساجد - عندما سئل: عن المجتمعين بعد صلاة الصبح يقرؤون الحزب من القرآن متفقين. فأجاب: "إن كان لما يجدون في ذلك من القوة والنشاط والحفظ والدراسة فلا بأس به"^(١). ومنها الالتزام بختمه في تراویح رمضان.

والشاهد أن هذه الوسائل في تحفيظ القرآن ورسمه قد حفظت للقرآن مكانته العالية في حلقة المتعلمين وفي نفوس العامة، مما جعل ديار المغاربة حافلة بكثرة الحفاظ.

(١) المصدر نفسه ج ١١ ص ٦٩.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

خامساً: جهود المغاربة في تفسير القرآن الكريم

تأخرت جهود المغاربة في تفسير القرآن الكريم عن نظيرتها في المشرق، والعلة في ذلك أن المشرق هو باب الرواية وموئل الصحابة، وكان التفسير في سنته الأولى قائماً على رواية آثار الصحابة وأحاديث النبي ﷺ. وتفاوتت فيه المدارس إقلالاً وإكثاراً، حيث بزّت المدرسة المكية غيرها من مدارس المدينة والköففة والبصرة^(١). من حيث أنها حوت كبار تلاميذ ابن عباس حبر القرآن كمجاهد وعكرمة وعطاء. إلا أن أثرة من ذلك التفسير سوف تستقر بإفريقية مع عكرمة مولى ابن عباس الذي هو أصل من مغربي بريري، إذ كانت له حلقة القيروان أيام رحلاته العديدة.

إلا أن انبلاج التفسير مع المغرب سيكون مع مفسر مشهور حوى علم المدرسة البصرية ورائدها الحسن البصري وقتادة بن دعامة السدوسي، وهو الإمام يحيى بن سلام البصري الذي استقر بالقيروان وألف تفسيره المشهور الذي عكف عليه المغاربة حفظاً وخاصة لمختصره الذي ألفه الإمام ابن أبي زمین.

لم يظهر مفسرون كبار قبل القرن الخامس الهجري، وقصارى الأمر كان روایة التفسير المأثور أو الوارد من كتب المشرق كتفسير الواحدي،

(١) انظر الخضيري: تفسير التابعين. ط١، الرياض، دار الوطن، ١٩٩٩. ج١ ص٥٨٤.

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

أو تفسير عبد الرزاق، أو مختصر تفسير الطبرى لابن صمادح الأندلسى، والعلة فى ذلك راجعة إلى نفور مالكية المغرب الإسلامى من التفسير بالرأي تهيباً لمقام الكتاب العزيز، ولأن التفسير سيولجهم حتماً إلى مناقشات غيرهم فى دلالات الآيات، وهو ما كان المالكية يوصدون الباب أمامه. ولم يشذ عن هذا المسلك إلا قلة من العلماء الرافضين للتقليد الشديد الذى رمى به المالكية فى عکوفهم الغريب على أقوال مالك وتلامذته مما جعلهم شديدين على غيرهم مغالين في إثبات واحديتهم المذهبية فهم يقولون كما وصفهم المقدسى: "لا نعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك، فإذا ظهروا على حنفى أو شافعى نفوه، وإن عثروا على معتزلى أو شيعي ربما قتلوه ...".^(١)

ومن هؤلاء الذين ثاروا على التقليد المذهبى فخدموا الكتاب والحديث الإمام بقى بن مخلد القرطبي (٢٧٢هـ)^(٢) والذي كان في جهوده انعطافة كبرى في مسار التأليف في الأندلس^(٣)، حيث ألف تفسيراً قال عنه ابن حزم^(٤): " فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا استثنى فيه، أنه لم

(١) المقدسى: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ط٢، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٦.
ص٣٣٦.

(٢) في ترجمة بقى بن مخلد انظر: بغية الملتمس رقم ٥٨٤ ص٢٤٥/جذوة المقتبس رقم ٣٣١ ص١٧٧ / ابن بشكوال: الصلة رقم ٢٨٠ ج١ ص١١٦/فتح الطيب ج٢ ص٤٩٠/سير أعلام النبلاء ج٨ ص٤٩٠

(٣) انظر بالتى: تاريخ الفكر الأندلسى ص٤٥٨.

(٤) في ترجمة ابن حزم ومعاركه انظر: ابن بشكوال: الصلة رقم ٨٩٤ ج٢ ص٤١٥ / وفيات الأعيان ج٣ ص٢٨٤/سير أعلام النبلاء ج١١ ص٩٠/فتح الطيب ج٢ ==

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

يُؤلف في الإسلام تفسير مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبرى ولا غيره^(١).

لقد مثلت افتاحية بقى بن مخلد عن الدليل وخوضه معارك ضد متعصبة المالكية مثل أصبغ بن خليل(٢٧٣هـ) الذي قال: لن يكون في تابوتى رأس خنزير خير من أن يكون فيه مصنف بن أبي شيبة^(٢) دافعاً لاشغال المغاربة والأندلسيين بالتفسير، وهو ما تزاوج مع الاهتمام بعلم القراءات حيث بُرِزَ مكي بن أبي طالب القيسي بكتابه: الهدایة إلى بلوغ النهاية^(٣) فكان فاتحة الاهتمام بعلم التفسير الذي بدأ عوده يشتد مع الرحلات التي انتالت نحو المشرق وأفادت من التراث التفسيري المتنامي فيه، ويمكن أن نجمل أهم محطات التفسير في الآتي :

أ- ابن العربي المالكي الأشبيلي(٤٥٣هـ)^(٤):

حيث يعد مؤسس التفسير في المدرسة المالكية، وقد أفاد من رحلته

==

ص ٢٣٨ / جذوة المقتبس رقم ٧٠٨ ص ٣٠٨ / بغية الملتمس رقم ١٢٠٥ ص ٤١٥ /
شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٩٩

(١) انظر: مصطفى إبراهيم المشيني: مدرسة التفسير بالأندلس ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦. ص ٥٧.

(٢) عياض: ترتيب المدارك ج ١ ص ٢٤٩.

(٣) انظر في ترجمة ابن العربي : بغية الملتمس رقم ٩٢ ص ١٧٩ / الديبايج ج ٢ ص ١٩٨ / شجرة النور رقم ٤٠٨ ج ١ ص ١٣٦ / سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٣٩٣ / وفيات الأعيان ج ٤ ص ١١٦ / شذرات الذهب ج ٤ ص ١٤١ .

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

المشرقية التي اطلع فيها على المذاهب الفقهية الأخرى، ومسالك استدلالها، فعاد شهاباً وارياً من العلم، وألف كتباً عديدة في الفقه والعقيدة والتفسير، ولكن ريادته الحقيقة هي في تفسير آيات الأحكام حيث ألف كتابه "أحكام القرآن" وعرض فيه الاختلافات الفقهية المتعلقة بأيات الأحكام وفتح للملكية فتحاً جديداً مصبه الاعتناء بالدليل الأصلي بدل العكوف على الأقوال المنقوله في المدونة المستخرجة والواضحة.

وهو بذلك قد كسر حجاب التقليد الذي هيمن على مالكية المغرب إبان عصر المرابطين، حجاب وصفه المراكشي بقوله: ولم يكن يقرب من أمير المسلمين-علي بن يوسف بن تashfin- ويحظى عنده إلا من علم علم الفروع، أعني فروع مالك، فنفت في ذلك كتب المذهب وعمل بمقتضها ونبذ ما سواها، وكثير ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ، فلم يكن أحد من مشاهير ذلك الزمان يعتني بها كل الاعتناء^(١).

إلا أن أوسع تفسير لابن العربي قد ألفه في عشرين سنة هو "أنوار الفجر في مجالس الذكر" وقالوا أنه لم ير مثله فيما سبق، وكان متداولاً في كل أرجاء المغرب^(٢).

(١) المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب. ص ١٣١

(٢) سعيد أعراب: مع القاضي أبي بكر بن العربي. ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣. ص ١٢١.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

بـ - عبد الحق بن عطية الغرناطي (ت ٥٤٦)^(١):

أشهر مفسري الأندلس على الإطلاق بكتابه "المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز" حيث استوعب فيه تراث من سبقه باختصار غير مخل. قال فيه ابن خلدون: "وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرین بال المغرب، فلخص تلك التفاسير كلها، وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى"^(٢). فلا غرابة أن يعد هذا التفسير إبداعاً في حينه في الانتصار للتأثير والوجيه من القراءات والبلاغة حيث كان سداً أمام تفسير الزمخشري المعذلي ، وقال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية : "وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة، وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري، ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجه لكان أحسن وأجمل"^(٣)، ولريادته عند المغاربة أثني عليه من بعده كابن جزي الكلبي وأبي حيان الأندلسي، وقد طار هذا التفسير كل مطار حتى صار مرجعاً للدرس التفسيري، وقد اخترقه الشعالي الجزائري(٤) في كتابه الجوادر الحسان في تفسير القرآن^(٥).

(١) في ترجمة عبد الحق بن عطية انظر: بغية الملتمس رقم ١١٠٣ ص ٣٨٩/الصلة رقم ٣٨٣ ج ٢ ص ٣٨٦ /فتح الطيب ج ٣ ص ١٣١ /الديباج ج ٢ ص ٤٥ /شجرة النور رقم ٣٧٤ ص ١٢٧ /سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٦٣٥ /معجم كحالة ج ٢ ص ٥٩.

(٢) ابن خلدون: المقدمة ص ٤١٠ .

(٣) ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير. ط ٤، المطبعة السلفية، ١٣٩٩ . ص ٣٩ .

(٤) في ترجمة الشعالي عبد الرحمن انظر: التبكري: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج (ت علي عمر). ط ١، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٤ .

==

جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني**ج- القرطبي أبو عبد الله بن فرج (٦٧١ هـ)^(٣):**

مؤلف أهم تفسير أثري فقهى عنونه بـ "الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وأى الفرقان" جمع فيه وجوه القراءات وأحكام النسخ وأوجه الإعراب، وركز فيه على القضايا الفقهية حيث أبدع في نقل أقوال السلف والتابعين فضلاً عن الأئمة المتبوعين، مخالفًا بذلك سنن مالكية المغرب في الاقتصار والاقتصاد في الخلاف. وقد اعتنى به العلماء وقدموه على كثير غيره، " وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً وأسقط منه القصص والتاريخ وأثبت عوتها أحكام القرآن واستنباط الأدلة وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ"^(٣).

د- ابن جزي الكلبي (٧٤١ هـ)^(٤)

من القراء الفقهاء اللغويين، وقد سن في كتبه سنة الاختصار وعدم التطويل والاقتصار على الراجح، وذلك في مثل كتابه القوانين الفقهية، أو

==

ج ١ ص ٢٠٠ / القرافي: توشيح الديباج وحلية الابتهاج. (ت علي عمر). ط ١، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٤ . ص ١٠١ / معجم حالة ج ٢ ص ١٢٢ .

(١) نشر في الجزائر بعنابة الدكتور المحقق عمار طالبي في أربعة أجزاء.

(٢) في ترجمة القرطبي المفسر انظر: نفح الطيب ج ٢ ص ٣٤٥ / الديباج ج ٢ ص ٢٤٣ / شجرة النور رقم ٦٦٦ ص ١٩٧ / شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٣٥ / معجم حالة ج ٣ ص ٥٢ .

(٣) ابن فرحون: الديباج المذهب ج ٢ ص ٢٤٣ .

(٤) في ترجمة ابن جزي: الديباج ج ٢ ص ٢١٥ / كفاية المحتاج ج ٢ ص ٤٠ / شجرة النور رقم ٢٤٦ ص ٢١٣ / معجم حالة ج ٣ ص ١٠٣ .

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

في تفسيره المعروف بـ"التسهيل في علوم التنزيل"، وقد كان للعنوان نصيبه في رسم منهج التفسير عنده، والاقتصار على البيان وعدم التعرض لاختلافات المفسرين واللغويين، وإسقاط الإسناد فضلاً عن إبطال ما خالف اللغة والبيان^(١)، وتفسيره من أحسن التفاسير للمبتدئين في الدرس التفسيري.

هـ- أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)^(٢):

أشهر المفسرين اللغويين وال نحوين، وقد أفاد من رحلته المشرقة لتنظيم هذا الكتاب الموسوم بـ"البحر المحيط في تفسير القرآن الكريم"، وقد صدره بمقدمات طويلة في منهج التفسير وشروطه وأدواته، وبالفعل فإن كتابه محيط بأوجه التفسير من قراءات ولغة ونحو وفقه وعقائد، وإن كان الوجه الأبرز له هو اللغة والنحو والانتصار لسيبوه والبصريين، وهو ما يدل على عارضة كبيرة وحصيلة علمية لتراث الأندلس كلها، كما أنه خلف في القراءات: "الشافع في قراءة نافع" و"الأثير في قراءة ابن كثير" و"الروض الباسم في قراءة عاصم".

وبهؤلاء ختمت جهود التفسير الكبرى وانقطعت إلا ما كان من

(١) انظر المشيني: مدرسة التفسير بالأندلس ص ١٠٢.

(٢) في ترجمة أبي حيان انظر: نفح الطيب ج ٣ ص ١٤١ /السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، بيروت، دار المعرفة، د، ت. ج ٦ ص ٣١ /شذرات الذهب ج ٦ ص ١٤٥ /الشوکاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (ت صالح الدين الهواري)، ط ١، صيدا، المكتبة العصرية، ٢٠١١، ج ٢ ص ٢٢٠ /معجم كحالة ج ٣ ص ٧٤٨.

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

اختصارات لما سبق كما فعل عبد الرحمن الثعالبي الجزائري في اختصاره لتفسير عطية في كتاب الجواهر الحسان. أو كما فعل البعض من تفسيرات سور وأيات مخصوصة كالفاتحة مثل تفسير الفاتحة أو غيرها. وكذلك برز لدينا مفسر مشهور في القرن التاسع وهو عبد الكريم المغيلي (٩٠٩ هـ)^(١)، صاحب مشروع طرد اليهود من منطقة توات بالجزائر. إلا أن تفسيره لم يصل إلينا في حدود المعلوم.

استأنف الدرس التفسيري في المرحلة الحديثة مع أعلام الحركة الإصلاحية، ويمكن التنوية بعلميين مشهورين هما:

أ- عبد الحميد بن باديس الجزائري (١٣٦٠ هـ)^(٢):

رائد النهضة ومحبي السنة والطود الأشم الذي وقف ضد الاستعمار الفرنسي، فأحيا العربية والتعليم الإسلامي، وافتتح دروس التفسير الطويلة التي دامت ثلاثة وعشرين سنة. وجمعت بعض هذه المجالس في

(١) في ترجمة المغيلي محمد بن عبد الكرم انظر: محمد بن عسكر الشفشاوني: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، ط٣، الدار البيضاء، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي. والرباط، مطبعة الكرامة ٢٠٠٣ صص ١١٧ / أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج. ج ٢ ص ٢١٨ - ابن مریم التلمسانی: البستان ص ٢٥٣ / العباس بن إبراهيم المراكشي: الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام (تحقيق عبد الوهاب ابن منصور) : الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٧٦، رقم ٦٢٨، ج ٥ ص ١٠٦ .

(٢) عن ابن باديس انظر: عمار طالبي: ابن باديس حياته وآثاره. الجزائر. ط٣، الجزائر، الشركة الجزائرية، ١٩٩٧. ج ١.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

كتاب "مجالس التذكير من كلام العلیم الخبیر"^(١)، وكان في دروسه على سنن تفسير المنار لمحمد عبده وتلميذه رشید رضا، حيث رکز فيها على قضایا التعليم والتهذیب والقيم، وكان إلى جمع الكلیات أقرب منه إلى التشیقات اللغوية والخلافات النحویة وغير ذلك.

ب- الطاهر بن عاشور (١٣٩٣ھ)^(٢):

إمام جامع الزيتونة والنحوی الأدیب الكبير الذي خلف في التفسیر موسوعته السماقة "تفسير التحریر والتنویر"، وسار فيه على سنن عجیب في النکات اللغوية واللغفات البلاغیة واستنباط الكلیات والاهتمام بمقاصد القرآن، وقد صدره بعشر مقدمات في الدرس التفسيري ولا غرو أن اعتباره كثیرون خاتمة المفسرین.

(١) طبع باعتناء وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية.

(٢) كحالة: معجم المؤلفین ج٣ ص٣٦٣.

 جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني

الخاتمة

إن الإمام بجهود المغاربة في خدمة النص القرآني من الصعوبة بمكان، وذلك أن هذا الجهد العريض يتطلب عديد الدراسات والبحوث والمسح للموسوعات والتراجم. ولكن بعض التوصيف ضروري لفهم تطور علوم القرآن والقراءات والتفسير في هذا الجزء الكبير من العالم الإسلامي.

إن بذرة الاهتمام قد وضع أسسها الأولى السلف من الصحابة والتابعين الذين وطئت أقدامهم هذه الأرض فاتحين مبشرين هذا الكتاب العزيز الذي له الأثر البالغ في صياغة إنسان جديد وصناعة حياة اجتماعية حميدة بعيدة عن البدع والفرقة والاختلاف. وهو ما أدى إلى نفي المذاهب الضالة والفرق المنحرفة.

إن تطور علم القراءات الكبير بالمغرب والأندلس على يد جهابذته أمثال مكي بن أبي طالب والداني والشاطبي، ورسوخ علم الرسم مع الخراز وابن عاشر، وبروز التفسير والإسهام الكبير من قبل ابن العربي وابن عطيه والقرطبي وابن عاشور قد عدّل من صيورة الدليل لدى مالكية المغرب وجعلهم يستنكفون عن الاكتفاء بكتب الفروع وما تلاها من المختصرات والمعتسرات والحواشي والطرر.

والحقيقة أن الانتصار للنص القرآني يعد ميزة سامقة لدى المغاربة الذين بزوا غيرهم في حفظ الكتاب العزيز من حيث أنهم الأكثر عدداً والأشد حفظاً له لما أسسوه من رباطات وزوايا وأوقاف في المال والوقت من حيث سنهم للحزب الراتب عقب الصلوات، وعدم تقديمهم

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

للإمامية لمن لم يكن حافظاً خاتماً للقرآن الكريم. وذلك كله من السنن الحسنة في العناية بهذا الكتاب الخاتم المهيمن.